العدول الصرفي
في سورة السجدة

عبد السلام عبده المعبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

العدول الصرفي

في سورة السجدة

تأليف

أبي العز
عبد السلام بن عبدالحق بن عبدالرزاق المعباء

المقدمة

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا بحث بعنوان "العدول الصرفي في سورة السجدة"، إذ إنّ العدول الصرفي يُشكل ظاهرة لغوية بارزة لها أهميتها في القرآن الكريم، ولها قيمتها التعبيرية في الدلالة القرآنية؛ من هنا كان ينبغي إخضاع هذه الظاهرة للدرس والتحليل ليمكن من خلالها الانطلاق لتجلية دلالات النص القرآني، واستكناه أسرار التعبير الفني فيه، إذ إنّ العدول لا يأتي إلاّ لدلالة معينة يرجحها السياق فبتحديد موطن العدول يمكن معرفة سرِّه الدلالي، فالعدول عن مبنى إلى مبنى آخر يؤدي حتماً إلى العدول عن معنى إلى معنى آخر لا سيما إذا ما اتفقت المباني في الجذر اللغوي المشتقة منه.

الفصل الأول: تمهيدي

تعريف العدول الصرفي لغة واصطلاحًا:

العدول لغةً: للجذر (ع- د-ل) دلالتان ترجع إحداهما إلى الأخرى، وإحدى هاتين الدلالتين العَدْل بمعنى الاستواء أو المساواة. وهذا المعنى متأتٍ من معادلة الحِمْل على الدابة بأن يُجعل طرفاه على استواء واحد، ويقال لكل طرف عِدْل، ولا يتأتى هذا المعنى إلاّ بالتحريك والإمالة، ومن هنا جاءت الدلالة الثانية وهي العدول بمعنى الميل.

قال الخليل (ت 175 هـ): "والعِدْلان: الحِمْلان على الدابّة من جانبين، وجمعُه أعدال، عُدِل أحدهما بالآخر في الاستواء كي لا يرجح أحدهما بصاحبه، والعَدْل أن تَعْدِل الشيءَ عن وجهه فتميله، وعدلتُه عن كذا، وعدلتُ أنا عن الطريق، والعِدْلُ أحد حِمْلَي الجمل، لا يقال إلاّ للحِمْل؛ وسُمّي عِدْلاً لأَنّهُ يُسوّى بالآخر بالكيل والوزن" [1].

ويُلحظ أنّ دلالة العَدْل متأتيةٌ من العدول ذلك أنّ الأصل في اشتقاق العَدْل آتٍ من معادلة الأعدال على الدابة من جانبين، أي أَنْ تَعْدِلَ العِدْل عن جهته فتُميله، حتى يُعادل العِدْل الآخر من الجهة الأخرى حتى يتساويا بالكيل والوزن، كي لا يرجح أحدهما بصاحبه.

قال الأزهري (ت 370هـ): " العِدْلُ: اسم حِمْل معدول بحِمْل، أي مُسَوّى به[2]".

ودلالة العدول على الميل متأتيةٌ من معادلة الأحمال، إذ لابُدّ من إمالتها عند تسوية بعضها ببعض، ومن هنا أَشكل على ابن فارس (ت 395 هـ) فجعل للجذر.

(ع-د- ل) "أصلين صحيحين، لكنهما متقابلان كالمتضادين، أحدهما يدلّ على استواء والآخر يدلّ على اعوجاج[3]"، وهو في الحقيقة أَصل واحد وهو الميل، قال ذو الرّمة[4]:

وإنّي لأُنْحي الطَرْفَ من نَحْوِ غيرها ... حِياءً ولو طاوعتُهُ لم يُعَادِلِ

---

(1)كتاب العين: 2/ 38 . 39.

(2)تهذيب اللغة: 2/ 209.

(3)مقاييس اللغة: 4/ 246.

(4)ديوان ذي الرمة: ص 493.

أي: لو طاوعتهُ بأن لا أُنحيه عنها لَمالَ إليها، فالمعادلة هنا الميل، ولكنه ميلٌ وليس جَوْراً.

ومعنى العدول يتحدد على وفق تعدية الفعل بالحرف.

وممّا تقدم تبيّن أنْ العدول ليس ميلاً وخروجاً عن حدّ التوسط والمساواة، إنّما هو ميل وخروج إليهما، بمعنى أنه يتضمن دلالة الميل المنضبط المقصود، لا دلالة الخروج الشاذّ الذي هو بمعنى الجور[1].

(1)العدول الصرفي في القرآن الكريم – دراسة دلالية (ص: 7).

ملخص البحث

يتناول البحث ظاهرة تكررت في القرآن الكريم، وجاءت في كثير من آياته وهي ظاهرة خروج بعض آياته عن سياقها العام خروجًا غير متوقع، يلفت إليه الانتباه، ويثير في النفس تساؤلًا عن سرّ هذا الخروج الفجائي وما يراد به، ويدعو إلى التدبر والتأمل وإنعام النظر لاستكناه حقيقته، والوقوف على دلالته، وهذا الخروج هو ما نصطلح عليه بالعدول.

الفصل الثاني
العدول الصرفي في سورة السجدة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بسورة السجدة.

والمبحث الثاني: العدول الصرفي في السورة.

المبحث الأول
التعريف بسورة السجدة

أسمـــاء السورة:

ولها ثلاثة أَسماء: سورة السّجدة، لاشتمالها على سجدة التلاوة، الثاني سجدة لقمان؛ للتميّز عن حم السّجدة الثالث المضاجع: لقوله: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾[1].

قال ابن عاشور[2]:

أشهر أسماء هذه السورة هو: سورة السجدة، وهو أخصر أسمائها، وهو المكتوب في السطر المجعول لاسم السورة من المصاحف المتداولة.

وبهذا الاسم ترجم لها الترمذي في "جامعه" وذلك بإضافة كلمة سورة إلى كلمة السجدة.

ولا بد من تقدير كلمة ﴿**ألم**﴾ محذوفة للاختصار إذ لا يكفي مجرد إضافة سورة إلى السجدة في تعريف هذه السورة، فإنه لا تكون سجدة من سجود القرآن إلا في سورة من السور.

وتسمى أيضًا: ﴿ألم تَنْزِيلُ﴾؛ روى الترمذي عن جابر بن عبد الله: "إن النبيء صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ ﴿**ألم تَنْزِيلُ**﴾ [السجدة: 1, 2] و ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ [الملك: 1].

وتسمى: "ألم تنزيل السجدة".

وفي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة: "كان النبيء صلى الله عليه وسلم يقرأ يوم الجمعة في صلاة الفجر " **ألم تنزيل السجدة**" و ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ**﴾ [الإنسان: 1].

قال شارحو "صحيح البخاري" ضبط اللام من كلمة ﴿تَنْزِيلُ﴾ بضمة على الحكاية، وأما لفظ "السجدة" في هذا الحديث فقال ابن حجر: هو بالنصب.

وقال العيني والقسطلاني بالنصب على أنه عطف بيان – يعني أنه بيان للفظ ﴿ألم تَنْزِيلُ﴾ – ، وهذا بعيد لأن لفظ السجدة ليس اسمًا لهذه السورة إلا بإضافة "سورة" إلى "السجدة"، فالوجه أن يكون

---

(1)الحاوي في تفسير القرآن الكريم (713/ 422).

(2) التحرير والتنوير عند تفسير سورة السجدة.

لفظ "السجدة" في كلام أبي هريرة مجرورا بإضافة مجموع ﴿ألم تَنْزِيلُ﴾ إلى لفظ "السجدة"، وسأبين كيفية هذه الإضافة.

وعنونها البخاري في "صحيحه": "سورة تنزيل السجدة".

ويجب أن يكون ﴿تَنْزِيلُ﴾ مضمونًا على حكاية لفظ القرآن، فتميزت هذه السورة بوقوع سجدة تلاوة فيها من بين السور المفتتحة بـ ﴿ألم﴾، فلذلك فمن سماها سورة السجدة عنى تقدير مضاف أي سورة "ألم السجدة".

وتسمى: "سورة المضاجع" لوقوع لفظ "المضاجع" في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16].

وفي "تفسير القرطبي" عن "مسند الدرامي" أن خالد بن معدان( ) سماها: المنجية.

قال: بلغني أن رجلا يقرؤها ما يقرأ شيئا غيرها ، وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها وقالت: رب اغفر له فإنه كان يكثر من قراءتي فشفعها الرب فيه وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة اهـ.

وقال الطبرسي: تسمى "سورة سجدة لقمان" لوقوعها بعد سورة لقمان لئلا تلتبس بسورة "حم السجدة" ، أي كما سموا سورة "حم السجدة" وهي سورة فصلت "سورة سجدة المؤمن" لوقوعها بعد سورة المؤمنين.

السّورة مكّيّة بالاتفاق، سوى ثلاث آيات، فإنها مدنيّة ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ إلى آخر الآيات الثلاثة.

وقيل: وهي مكية في إطلاق أكثر المفسرين وإحدى روايتين عن ابن عباس-رضي الله عنهما-.

عدد آياتها: تسع وعشرون عند البصريّين، وثلاثون عند الباقين.

كلماتها: ثلاثمائة وثلاثون.

وحروفها: أَلْف وخمسمائة وتسع وتسعون.

المختلف فيها آيتان (الم) ﴿**خَلْقٌ جَدِيْدٌ**﴾ فواصل آياتها (ملن) على الميم اثنان: الم و ﴿**العَزِيزُ الرّحِيم**﴾ وعلى اللام آية ﴿**هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾.

غرض السورة:

تقرير المبدأ والمعاد وإقامة الحجة عليهما ودفع ما يختلج القلوب في ذلك مع إشارة إلى النبوة والكتاب

ثم بيان ما يتميز به الفريقان المؤمنون بآيات الله حقا والفاسقون الخارجون عن زي العبودية ووعد أولئك بما هو فوق تصور المتصورين من الثواب ووعيد هؤلاء بالانتقام الشديد بأليم العذاب المخلد وأنهم سيذوقون عذابًا أدنى دون العذاب الأكبر، وتختتم السورة بتأكيد الوعيد وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالانتظار كما هم منتظرون.

وقال ابن عاشور: من أغراض هذه السورة:

أولها: التنويه بالقرآن أنه منزل من عند الله، وتوبيخ المشركين على ادعائهم أنه مفترى بأنهم لم يسبق لهم التشرف بنزول كتاب.

والاستدلال على إبطال إلهية أصنامهم بإثبات انفراد الله بأنه خالق السماوات والأرض ومدبر أمورهما.

وذكر البعث والاستدلال على كيفية بدء خلق الإنسان ونسله ، وتنظيره بإحياء الأرض، وأدمج في ذلك أن إحياء الأرض نعمة عليهم كفروا بمسديها.

والإنحاء على الذين أنكروه ووعيدهم.

والثناء على المصدقين بآيات الله ووعدهم، ومقابلة إيمانهم بكفر المشركين، ثم إثبات رسالة رسول عظيم قبل محمد صلى الله عليه وسلم هدى به أمة عظيمة.

والتذمير بما حل بالمكذبين السابقين ليكون ذلك عظة للحاضرين، وتهديدهم بالنصر الحاصل للمؤمنين.

وختم ذلك بانتظار النصر، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنه تحقيرًا لهم، ووعده بانتظار نصره عليهم.

وقال البقاعي: "... ومقصودها إنذار الكفار بهذا الكتاب السار للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار، واسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه آيتها من الإخبات وترك الاستكبار، وكذا تسميتها ب ﴿آلم تنزيل﴾ فإنه مشير إلى تأمل جميع السورة، فهو في غاية الوضوح في هذا المقصود[1].

من مزايا السورة وفضائلها:

روى الترمذي والنسائي وأحمد والدرامي عن جابر بن عبد الله قال: "كان النبيء صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ﴿الم تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: 1، 2] و ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: 1][2].

(1)نظم الدرر حـ 6 صـ 42.

والمبحث الثاني

العدول الصرفي في السورة

- **قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾:**

فيه إشارة إلى أن الله المحيط في علمه وقدرته وكل شأنه أرسل جبريل عليه السلام إلى محمد الفاتح الخاتم ﷺ بكتاب معجز دال بإعجازه على صحة رسالته، ووحدانية من أرسله، وعدله في العاصين، وفضله على المطيعين، وسرد سبحانه هذه الأحرف في أوائل أربع من هذه السور، فزادت على الطواسين بواحدة، وذلك بقدر العدد الذي يؤكد به، وزيادة مبدأ العدد إشارة إلى أن التكرير لم يرد به مطلق التأكيد، بل دوام التكرير، إشارة إلى أن هذه المعاني في غاية الثبات لا انقطاع لها[1].

- **﴿الٓمٓ* تَنْزِيلُ الْكِتابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾.**

عدل عن أسلوب قوله ﴿الم ذلِكَ الْكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في سورة البقرة [1، 2] لأن تلك السورة نازلة بين ظهراني المسلمين ومن يرجى إسلامهم من أهل الكتاب وهم ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة: 4]، وأما هذه السورة فقد جابه الله بها المشركين الذين لا يؤمنون بالإله الواحد ولا يوقنون بالآخرة فهم أصلب عودا، وأشد كفرا وصدودا.

فقوله تنزيل الكتاب مبتدأ، وقوله لا ريب فيه جملة هي صفة للكتاب أو حال أو هي معترضة.

وقوله: ﴿مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ خبر عن المبتدأ ومن ابتدائية.

والمعنى: من عنده ووحيه، كما تقول: جاءني كتاب من فلان. ووقعت جملة لا ريب فيه بأسلوب المعلوم المقرر فلم تجعل خبرا ثانيا عن المبتدأ لزيادة التشويق إلى الخبر ليقرر كونه من رب العالمين[2].

---

(2)التحرير والتنوير حـ 21 صـ 138 – 141.

(1)نظم الدرر للبقاعي سورة السجدة.

(2)التحرير والتنوير (21/ 205).

وافتتحت السورة بالتنويه بشأن القرآن لأنه جامع الهدى الذي تضمنته هذه السورة وغيرها ولأن جماع ضلال الضالين هو التكذيب بهذا الكتاب، فالله جعل القرآن هدى للناس وخص العرب أن شرفهم بجعلهم أول من يتلقى هذا الكتاب، وبأن أنزله بلغتهم، فكان منهم أشد المكذبين بما جاء به، لا جرم أن تكذيب أولئك المكذبين أعرق في الضلالة وأوغل في أفن الرأي.

وافتتاح الكلام بالجملة الاسمية لدلالتها على الدوام والثبات.

وجيء بالمسند إليه معرفا بالإضافة لإطالته ليحصل بتطويله ثم تعقيبه بالجملة المعترضة التشويق إلى معرفة الخبر وهو قوله من رب العالمين ولولا ذلك لقيل: قرآن منزل من رب العالمين أو نحو ذلك.

- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

جاءت أم للإضراب عن الكلام السابق إضراب انتقال، وهي أم المنقطعة التي بمعنى بل التي للإضراب.

وحيثما وقعت أم فهي مؤذنة باستفهام بالهمزة بعدها الملتزم حذفها بعد أم. والاستفهام المقدر بعدها هنا تعجيبي لأنهم قالوا هذا القول الشنيع وعلمه الناس عنهم فلا جرم كانوا أحقاء بالتعجيب من حالهم ومقالهم لأنهم أبدوا به أمرا غريبا يقضي منه العجب لدى العقلاء ذوي الأحلام الراجحة والنفوس المنصفة، إذ دلائل انتفاء الريب عن كونه من رب العالمين واضحة بله الجزم بأنه مفترى على الله تعالى.

وصيغ الخبر عن قولهم العجيب بصيغة المضارع لاستحضار حالة ذلك القول تحقيقا للتعجيب منه حتى لا تغفل عن حال قولهم أذهان السامعين كلفظ (تقول) في بيت هذلول العنبري من شعراء الحماسة:

تقول وصكت صدرها بيمينها ... أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

وأضرب على قولهم افتراه إضراب إبطال ب بل هو الحق من ربك لإثبات أن القرآن حق، ومعنى الحق: الصدق، أي: فيما اشتمل عليه الذي منه أنه منزل من الله تعالى[1].

وقال الزمخشري: جاءت هذه الآية على أسلوب بديع الإحكام إذ ثبت أن الكتاب تنزيل من رب جميع الكائنات، وأنه يحق أن لا يرتاب فيه مرتاب، ثم عدل إلى الإنكار والتعجيب من الذين جزموا

(1)التحرير والتنوير (21/ 207).

بأن الجائي به مفتر على الله، ثم رد عليهم بإثبات أنه الحق الكامل من رب الذي نسبوا إليه افتراءه فلو كان افتراه لقدر الله على إظهار أمره كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ**﴾ [الحاقة: 44- 47].

ثم جاء بما هو أنكى للمكذبين وأبلغ في تسفيه أحلامهم وأوغل في النداء على إهمالهم النظر في دقائق المعاني، فبين ما فيه تذكرة لهم ببعض المصالح التي جاء لأجلها هذا الكتاب بقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

قال أبو عبيدة: معناه: بل يقولون، وهو خروج من حديث إلى حديث.

وقال الزجاج: التقدير: أيقولون.

والتقدير عند الطبري: أيقولون، يعني المشركين أيقولون اختلق محمد ﷺ هذا القرآن من قبل نفسه، وأم عنده تقرير كالألف[1].

قوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ**﴾ لأنّ قولهم: هذا مفترى، إنكار لأن يكون من رب العالمين، وكذلك قوله بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وما فيه من تقدير أنه من الله، وهذا أسلوب صحيح محكم: أثبت أوّلا أن تنزيله من رب العالمين، وأن ذلك ما لا ريب فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ لأن «أم» هي المنقطعة الكائنة بمعنى: بل والهمزة، إنكارا لقولهم وتعجيبا منه لظهور أمره: في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه، ثم أضرب عن الإنكار إلى إثبات أنه الحق من ربك. ونظيره أن يعلل العالم في المسألة بعلة صحيحة جامعة، قد احترز فيها أنواع الاحتراز، كقول المتكلمين: النظر أوّل الأفعال الواجبة على الإطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف، ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه منه، فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك، ثم يعود إلى تقرير كلامه وتمشيته.

فإن قلت: كيف نفى أن يرتاب في أنه من الله، وقد أثبت ما هو أطم من الريب، وهو قولهم افْتَراهُ؟

قلت: معنى لا رَيْبَ فِيهِ أن لا مدخل للريب في أنه تنزيل الله، لأن نافى الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا للبشر، ومثله أبعد شيء من الريب. وأما قولهم افْتَراهُ فإما قول متعنت مع علمه أنه من الله لظهور الإعجاز له، أو جاهل يقوله قبل التأمل والنظر لأنه سمع الناس يقولونه: ﴿ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، كقوله: ﴿ما أنذر آباؤهم﴾، وذلك أن قريشًا لم يبعث الله إليهم رسولًا قبل محمد ﷺ.

فإن قلت: فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة.

(1) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، تفسير سورة السجدة.

قلت: أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا بالرسل فلا، وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم، لأن أدلة العقل الموصلة إلى ذلك معهم في كل زمان ﴿**لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ فيه وجهان: أن يكون على الترجي من رسول الله ﷺ كما كان ﴿**لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ**﴾ على الترجي من موسى وهارون عليهما السلام، وأن يستعار لفظ الترجي للإرادة[1].

- **قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾:**

الْعُدُولُ عَنْ أَنْ يُقَالَ: وَجَعَلَكُمْ سَامِعِينَ مُبْصِرِينَ عَالِمِينَ إِلَى ﴿جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ لِأَنَّ ذَلِكَ أَعْرَقُ فِي الْفَصَاحَةِ، وَلِمَا تُؤْذِنُ بِهِ اللَّامُ مِنْ زِيَادَةِ الْمِنَّةِ فِي هَذَا الْجَعْلِ إِذْ كَانَ جَعْلًا لِفَائِدَتِهِمْ وَلِأَجْلِهِمْ، وَلِمَا فِي تَعْلِيقِ الْأَجْنَاسِ مِنَ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ بِفِعْلِ الْجَعْلِ مِنَ الرَّوْعَةِ وَالْجَلَالِ فِي تَمَكُّنِ التَّصَرُّفِ، وَلِأَنَّ كَلِمَةَ الْأَفْئِدَةَ أَجْمَعُ مِنْ كَلِمَةِ عَاقِلِينَ لِأَنَّ الْفُؤَادَ يَشْمَلُ الْحَوَاسَّ الْبَاطِنَةَ كُلَّهَا وَالْعَقْلُ بَعْضٌ مِنْهَا.

وَأَفْرَدَ السَّمْعَ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ لَا يُجْمَعُ، وَجَمَعَ الْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ النَّاسِ[2].

- **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾.**

عدل عن ذكر ضميرهم لزيادة تسجيل فظاعة حالهم بأنهم مجرمون مع أنهم ظالمون، وقد يقال: إن المجرمين أعم من الظالمين فيكون دخولهم في الانتقام من المجرمين أخرويًا وتصير جملة إنا من المجرمين منتقمون تذييلا[3].

- **﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي...﴾:**

عدل عن الإضافة حق القول مني فلم يقل: حق قولي، لأنه أريد الإشارة إلى قول معهود وهو ما في سورة ص: ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ أي حق القول المعهود. واجتلبت من الابتدائية لتعظيم شأن هذا القول بأنه من الله.

وعدل عن ضمير العظمة إلى ضمير النفس لإفادة الانفراد بالتصرف ولأنه الأصل، مع ما في هذا الاختلاف من التفنن[4].

---

(1) الكشاف للزمخشري.

(2)التحرير والتنوير (21/ 217).

(3)التحرير والتنوير (21/ 234).

(4)التحرير والتنوير (21/ 224).

- **قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ وقال في سورة سبأ: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.**

ما الذي أوجب في سورة السجدة أن يعود الوصف ب ﴿الَّذِي﴾ إلى العذاب الذي هو مذكر، ويعود مثله في سورة سبأ إلى النار ﴿الَّتِي﴾ هي مؤنثة وهل كان اختيارا لو جاء هذا على العكس، وكان ما في سورة السجدة يرجع الوصف فيه إلى النار، وما في الأخرى يرجع الوصف فيه إلى العذاب؟.

الجواب أن يقال: إن ﴿النَّارِ﴾. في قوله في سورة السجدة ظاهر موضع المضمر لتقدم ذكره في قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾

فأضمرت ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ وأظهرت ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: عذابها، فوقعت مظهرة مكان المضمر، والتي في سورة سبأ لم تجئ هذا المجيء لأنها في مكانها مظهرة، فلما كان المضمر لا يوصف بعد عن الوصف ما حل محله لأنه سد مسده، فوصف ما أضيف إليه وهو العذاب، فجاء ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ولما لم يتقدم ما في سورة سبأ ما منزلته منزلة المضمر، صح الوصف له، فأجري عليه، وجاء ﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ألا ترى أن أوله، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

- **قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ فأتى بالنون في: ﴿تَكُنْ﴾ وقال تعالى في سورة هود في موضعين: ﴿فَلَا تَكُ﴾ وكان حق ذلك أن يذكر هناك بغير نون، وهو قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقال في آخرها: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾.**

للسائل أن يسأل: عن حذف النون حيث حذفت، وإثباتها حيث أثبتت، وما الذي خصص كلا بمكانه؟

الجواب أن يقال: إن هذه النون في قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ﴾ لما أشبهت بسكونها حروف المد واللين ثم كثرت استجيز حذفها للسببين جميعا، فإن تحركت خرجت عن شبهها، نحو: لم يكن الرجل منطلقا،

لا يجوز: لم يك الرجل منطلقا، فأما إذا سكنت وتحرك ما بعدها، فلك أن تأتي بها، ولك أن تحذفها كما جاء في الموضعين، ثم إنه يختار فيها الحذف إذا تحرك ما بعدها متى تعلقت بالجمل الكثيرة، ويختار إثباتها إذا تعلقت بالقليلة لأن الكثرة أحد سببي جواز حذفها، وهذه الكثرة أعني أنها في أم الأفعال التي هي كان، ويعبر بها عن كل فعل، ألا ترى أنه لا يجوز: لم يه زيد، ولم يص زيد في «لم يهن» «ولم يصن»، وكثرة الجمل هي التي تثقلها تعلقت بها من قبلها أو من بعدها، فقوله في سورة هود: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ جاء بعد أن تعلق بآيات ذوات جمل تقدمته، وهي: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فقد تقدمته جمل جاء عقيبها متعلقا بها، فثقل من أجلها، فاختير تخفيفها بحذف نونها، وكذلك قوله[1]:

(1)درة التنزيل صـ 1060 – 1073.